اوغسط بيل

نعى البرق في الثالث عشر من شهر اغسطس الماضي زعيم الاشتراكيين في المانيا اوغسط بيل الذي عزّز مقام الاشتراكية فيها حتى جعل لها من الاعضاء في مجلس النواب الالماني ١١٠ وعدد منتخبيهم ٤٢٥٠٠٠٠ بعد ان كان عددهم منذ ثلاثين سنة اقل من عشر ذلك

ولد هذا الرجل في ٢٢ فبراير سنة ١٨٤٠ وابوهُ من صف الضباط في الجيش الالماني وامهُ ابنة خباز . وكان راتب ابيهِ زهيداً جدًّا لا يكفي لمعيشة عائلتهِ الاَّ بالتقتير الشديد وكذا كان شأن غيرهِ من الضباط والجنود في ذلك الحين حتى قيل ان بروسيا نالت عظمتها بجوع جنودها . وكثيراً ما كان ابوهُ يعود الى بيتهِ في المساء وهو يلعن الساعة التي انتظم فيها في الجندية ويوصي امرأتهُ ان لا ترسل ولديهِ الى دار الايتام اذا توفي لئلاَّ يضطرا الى الانتظام في الجيش

وتوفي ابو بيل فتزوجت امهُ بسلفها حاسبة انهُ يعتني بولديها لانهما ابنا اخيهِ وكان مجانًا فعامل الولدين كما يعامل المسجونين بالقسوة والصرامة لكن حياتهُ لم تطل لانهُ كان مصابًا بالسل فتوفي وعمر بيل ست سنوات

وأُرسل بيل الى المدرسة فكان شأنهُ فيها الانتصار لاترابهِ اذا اراد المعلم الاقتصاص منهم حتى لُقّب لقبًا مسماهُ « طالب العدل معها كلّفهُ »

ولما حدثت الثورة في بروسيا سنة ١٨٤٨ و١٨٤٩ كان عمرهُ نحو تسع سنوات وكانت العقول مختمرة حينئذٍ بالسياسة ووقع جدال بين التلامذة انرابهِ فانتصر هو وتلميذ آخر للملكية فاوسعها معلمها ضربًا . وقد اشار بيل الى ذلك بعد حين قائلاً « اذا قال خصومي ان الملكية والوطنية شيء واحد فليعلموا اني أُضطهدتُ لاجل هذه الوطنية لما كان اسلافهم معادين لها » وتوفيت امهُ وعمرهُ ثلث عشرة سنة فانتقل الى بيت عمتهِ وفي السنة التالية خرج من المدرسة وود ان يتعلم الهندسة فقال لهُ عمهُ من اين تأتي بنفقات المدرسة فصرف هذا الخاطر من ذهنهِ وعزم ان يتعلَّم الخراطة عند خراط من معارف امهِ . وكان نحيف الجسم لقلَّة ما كان يحصل عليهِ من الطعام حتى كان احب شيء اليهِ ان يشبع ولو مرةً واحدة من الخبز والزبدة . ولما تمَّ تعلُّم الخراطة استخدم عند خراط وكانت اجرتهُ عشرة غروش في الاسبوع وقاسى مرة وخسر غرشين فآلى على نفسهِ ان لا يقاسي ابدًا فنجا من هذه الحلة . وذهب الى فريبرج وانضم الى مجمع العمال الكاثوليك فسرَّهُ الانضمام اليهم وتعلَّم منهم ومن

كهنتهم اشياء كثيرة وتمرّن في المحاظرة والخطابة وانتقل الى ليبسك وكان قد صار في العشرين من عمره وجعل يجتمع مع العمال ويحثهم على طلب زيادة الاجور وتقليل ساعات العمل وكأنهُ حثهم على الاعتصاب قبل ان سمع هذه الكلمة

وسنة ١٨٦١ حضر اجتماعاً عقدهُ اساتذة جامعة ليبسك لانشاء جمعية لاصلاح شأن العمال فانتظم عضواً في هذه الجمعية وانتخب ليكون حافظاً لمكتبتها وادارة اعمالها. فوقف على احوال العمال وحاجاتهم ورغائبهم . وسنة ١٨٦٣ نشر لاسل زعيم الاشتراكيين منشورهُ الذي يُعدُّ مبدأ للاشتراكية الالمانية فتغيرت جمعية العمال وسميت جمعية نشر المعارف بين العمال وانتخب بيل رئيساً لها ومن ثمَّ كثرت اشغالهُ وعلا مقامهُ بين العمال بسعيهِ المتواصل في مصلحتهم وقراراتهِ المحكمة وهو رئيس جمعيتهم وتوفيقهِ بين الاحزاب المعتدلة والمتطرفة منهم. وتعرف حينئذٍ بليبكنخت الاشتراكي المشهور وكان قد اتى الى ليبسك ليخطب في العمال وبقيا صديقين الى ان ادركت ليبكنخت الوفاة

وتعب بيل في مقاومة رجل اسمهُ فون شوتزر كان دأبهُ القاء الشقاق في صفوف العمال مدعياً الدفاع عنهم فبيّن بيل انهُ آلة في يد بسمارك لاحباط مساعيهم وتفريق كلمتهم . وسنة ١٨٦٧ انتخب عضواً في مجلس المانيا الشمالية عن مقاطعة سكسونيا فمضى الى برلين وقرّادهُ يخنق وجلس مع نواب المملكة وخطب اول خطبة في الدستور فانتقد سياسة بروسيا وقال ان توحيد المانيا الذي ارتآهُ بسمارك ليس في مصلحة المانيا كلها بل في مصلحة بروسيا والاسرة المالكة وان هذا التوحيد سيجعل المانيا ثكنة حربية لتمثة الجيوش وينزع منها ما فيها من بقايا الحرية والحقوق العمومية . فأثّرت هذه الخطبة تأثيراً شديداً في المجلس وخارجهِ حتى قالت احدى جرائد العصر انها كانت كصوت نداء بالثورة تردده جدران المجلس

ونشبت الحرب بين المانيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ وقال بسمارك ان فرنسا هي المعتدية على المانيا وان المانيا مدافعة لا مهاجمة اما بيل فقال ان بسمارك هو الذي اغضب فرنسا ودعاها للحرب . فاشتد الخصام في مجلس النواب بين حزب الحرب وحزب الاشتراكيين واجتمع حزب الاشتراكيين واحتج على اثارة الحروب كلها الاَّ حرباً تثار لاجل الحرية والعمران واحتج ايضاً على كل حرب تثار لاجل اسرة مالكة لانها تودي بحياة الالوف ومصالح الملايين لسد مطامع اهل السلطة. وايَّد هذا الاجتماع عمل الاشتراكيين الفرنسويين ولاسيما العمال منهم الذين كانوا يسعون في ابطال الحرب وطالب من كل محبي الحكم الجمهوري في المانيا ومن كل العمال الالمانيين ان يرفعوا صوتهم ضد الحرب

وطلبت الحكومة من المجلس ان يقترع على عقد قرض لنفقات الحرب فابى بسمارك الموافقة على هذا الاقتراع. ولما نودي بالحكومة الجمهورية في فرنسا حيّاها هو وحزبهُ احسن تحية وودّ ان المانيا تحذو حذوها يوماً ما. فعيل صبر الحكومة حينئذٍ وقبضت على كثيرين وزجتهم في السجن ومنعت الاجتماعات العمومية. وبعد شهرين طلبت عقد قرض آخر لنفقات الحرب مقدارهُ خمسة عشر مليوناً من الجنيهات فاعترض بسمارك عليهِ وعلى ضم الالزاس واللورين الى المانيا ويقال ان خطبتهُ التي اعترض بها على القرض الاول كان لها اعظم وقع في بلاد المانيا كلها لانهُ شهّر فيها بالاغنياء وظلمهم وبخلهم

وقبضت الحكومة عليهِ وعلى صديقهِ لبكنخت في اواخر تلك السنة وزجتهما في السجن متهمة اياهما بالخيانة لكن حزبهُ الثبتهُ لمجلس النواب باكثرية كبيرة جدًّا فاضطرت الحكومة ان تخرجهُ من السجن لكي يحضر جلسات المجلس ثم جرت محاكمتهُ فلم تثبت الخيانة عليهِ ولا على صديقهِ لكن الحكومة سجنتهُ في احد الحصون سنتين بامر بسمارك فافادهُ السجن فائدة لا تقدَّر لانهُ كان قد اصيب بالسل واتلف ميكروب السل رئة من رئتيهِ لشدَّة ما قاساهُ من التعب والفاقة فلما استراح في السجن شفي من السل تماماً. ثم حُكم عليهِ ثانية بالسجن بدعوى انهُ اهان الامبراطور وجعلت مدة سجنهِ ٣١ شهراً فقضاها في درس التاريخ والاقتصاد السياسي وتوسيع معارفهِ العلمية

ولم يضعف سجنهُ شأن الاشتراكية بل زادها انتشاراً فقد كان عدد الناخبين من الاشتراكيين نحو ثمانين الفاً فقط فبلغوا ٢٣٦ الفاً سنة ١٨٧١. ولما تمكن من طرد شوتزر صنيعة بسمارك اتحد الاشتراكيون كلهم وصاروا حزباً سياسيًّا باسم حزب العمال الاشتراكي. واشتدَّ حينئذٍ اضطهاد بسمارك لهم واتهام جرائدهم بالقذف والقبض على محرريها وسجنهم فقوي ساعدهم وكثر عددهم. ولا شيء مثل الاضطهاد لتقوية الاحزاب فقد كان عدد اعضاء هذا الحزب حينما انضم بيل اليهِ سنة ١٨٦٧ نحو ٢٥٠٠٠ نفس فنما وتقوى حتى بلغ عدد الناخبين منهُ ٣١٢٠٠٠ سنة ١٨٨١ و١٤٢٧٠٠٠ سنة ١٨٩٠ و٤٢٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٢ وصار للعمال منهم ١١٠ اعضاء في مجلس النواب مع ان عدد اعضائهِ كلهم لا يزيد على ٣٩٧ وقد كان فوز بيل هذا بعد تعب شديد وبذل النفس والنفيس في مصلحة العمال واصلاح امورهم وجمع كلمتهم خير اثر يذكر بهِ

ولما اعتزل بسمارك السياسة سنة ١٨٩٠ قلَّ اضطهاد الحكومة لحزب العمال الاشتراكي وقلت مناصبة الحزب للحكومة لانهُ قام فيهِ اناس يرون ان النجاح منوط باصلاح الحكومة

لا بقلبها وان هذا الاصلاح يجب ان يتدرّج تدرّجاً . وقد امتاز بيل على بسمارك بانهُ لم يتبع الخطة القاضية بارغام من يخالفهُ على طاعتهِ بل اتبع خطة المسالمة ووزن الامور بميزان العقل فكلما قام لهُ مخالف في حزبهِ ناقشهُ في رأيهِ فاذا وجدهُ صواباً اتبعهُ واذا وجدهُ خطاء اقنعهُ بخطائهِ . وعندهُ ان آراء الانسان وتصرفاتهِ يجب ان تتغير حالما يثبت خطأها وقد كتب في ذلك ما ترجمتهُ

« لقد كان مبدإي الذي جريت عليهِ دائماً ان اعدل من كل رأي حالما يثبت لي خطأهُ واتبع الرأي الذي يثبت لي انهُ اصح منهُ واداقع عنهُ بكل جهدي ما دمت اراهُ صواباً ولا يمنعني من ترك رأي اراهُ خطأ ان لي اصدقاء شركاء فيهِ وتركي لهُ يغضبهم ويحرفهم عليّ لاني احسب ان الاغراض التي نرمي اليها اهم جداً من الاصدقاء والاقارب »

واتباعهُ هذا المبدأ ابقى جمهور الاشتراكيين ملتفاً حولهُ مع تغير احوالهم فانتخبوهُ لمجلس النواب عن غلوشوميران من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٧٦ وعن درسدن من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٣ وعن همبرج من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٣ وعن ستراسبرج الى سنة ١٨٩٨ وعن همبرج ثانية من سنة ١٨٩٨ الى حين وفاتهِ اي انهُ بقي في مجلس النواب اكثر من اربعين سنة ما عدا الخمس سنوات التي كان سجيناً فيها لكنهُ انقطع عن حضور جلسات المجلس في السنوت الاخيرة ملقياً حملهُ فيهِ وفي ادارة حزبهِ على عواتق الشبان والكهول

ولقد امتاز على غيرهِ من الزعماء بانهُ كان يسعى دائماً الى تمكين عرى الاتحاد بين الاشتراكيين الالمان واشتراكيي غيرهم من الامم وبينهم وبين سائر العمال الذين يحتاجون الى من يساعدهم ويرقي شأنهم كان الغرض الذي يرمي اليهِ هو الاخاء العام في الدنيا كلها حتى يتآخى الناس كلهم ويعيشوا بالسلام والاطمئنان وتنتفي الحروب من الدنيا لان ويلاتها تقع على الجنود والعمال والفقراء عموماً . ولما خيف من نشوب الحرب بين المانيا وفرنسا في مسألة مراكش او بينها وبين انكلترا منذ سنتين عقد مؤتمر الاشتراكيين الالمانيين العام في بانا والقتهُ بخطبة ضد الحرب كان لها وقع عظيم في النفوس فاضطرّ الراغبون في الحرب ان يسمعوا صوتهُ لان وراءهُ اكثر من اربعة ملايين رجل يؤيدونهُ

والذين يعرفونهُ يقولون انهُ كان وديعاً انيس المحضر الاّ اذا اهتم بمسألة عمومية فانهُ يصير حينئذٍ اسداً عضنفراً . ومنذ بضع سنوات قطع لهُ احد الضباط المتقاعدين مالاً سنوياً فاشترى بيتاً صغيراً قرب زورك بسويسرا وصار يقيم فيهِ كلما اراد الراحة من عناء الاشغال ولم يكن في سعة مالية ولا كان من كبار الخطباء ولكنهُ كان قوي الحجة في المناظرة ماهراً

في مرد الادلة والبراهين وكلما حضر في مجلس النواب شعر كل احد بوجوده فيه كأنهُ ملأ المجلس . ولعلَّ العمال تعلقوا به اكثر مما تعلقوا بغيره من زعماء الاشتراكية لانهُ كان منهم وكان عارفاً بكل ما يقاسونهُ من العناء فيكلمهم بلسانهم وبما ينطبق على عقولهم وتصادق عليهِ قلوبهم او كما قيل ان العمال كانوا ينظرون اليهِ كواحد منهم وافضل رجل فيهم ويقولون انهُ يمثل الحالة التي يصلون اليها حينما تصلح امورهم كانهُ موسى الكليم يقود بني اسرائيل الى ارض الموعد وكان فوق ذلك منصفاً بعيداً عن الدعوى كتب ترجمة حياتهِ ونسب كل ما أوتيهِ من النجاح الى التوفيق والصدف ولكن التوفيق والصدف تعرض لكل احد ولا يغتنمها الاَّ الحازم الندب

قصر السلام

ما دام كثيرون من اهل الثروة والجاه يكتسبون من الحروب مالاً وجاهاً فهم يبذلون كل وسيلة لاثارتها حتى لا تزول موارد كسبهم ولا تقل

وهذا لا ينفي فائدة الوسائل التي استعان بها بعض الفضلاء على تهجين الحروب وترغيب الدول في فض خصوماتهم بالتحكيم . ومن هذه الوسائل اقامة قصر السلام في مدينة الهاغ عاصمة هولندا وجعلهُ محلاً لقضاة التحكيم وناديا للمؤتمرات السلمية . ويقال انهُ خطر للمرحوم المستر ستد منشيء مجلة المجلات الانكليزية منذ عشرين سنة ان يتوسَّل بقيصر روسيا اسكندر الثالث ليسعى في تقليل التجنيد والتسليح حاسباً ان الملوك اقدر من غيرهم على ابطال الحروب مع ان الامر في يد وزرائهم وهم اقل حولاً وطولاً من صانعي البنادق ومقرضي الاموال للممالك وهؤلاء لا سبيل الى صرفهم عن عملهم بالكلام والتوسُّل وان لم يقم الجمهور عليهم ويقل ايديهم عنوةً فلا شيء يصرفهم عن نيل اغراضهم

ونجح المستر ستد في جعل كثيرين يوقعون عريضة بعث بها الى القيصر على يد نظارة الخارجية الانكليزية فاهتمَّ القيصر بالامر لانهُ كان راغباً فيهِ ولكن نشبت حرب الصين التي تألبت فيها اكبر الحكومات الاوربية والاميركية على تلك المملكة الشرقية ودخلت عاصمتها عنوةً . وتوفي القيصر بعد قليل فقام ابنهُ القيصر الحالي وازاد ان يتم العمل الذي شرع فيهِ والدهُ . وروسيا مملكة تستدين الاموال لا تدينها وهي ليست مثل البلدان التي فيها اغنياء كبار ربحهم من حمل الممالك على اثارة الحروب واستدانة الاموال ومعامل لبناء